الاجتماعية والفردية إلى غير ذلك مما كان يستدعى تغيير النبوة والرسالة بين حين وحين من تاريخ البشرية، فكانت كل رسالة من تلك الرسالات تباشر معالجة الحاجات والمصالح المقطعية والمتطورة بنسبة معينة في عصرها إلى جنب ممارستها للخطوط العامة الثابتة (1).

وقد تدرجت الرسالة الإلهية نحو التكامل والسعة والشمول إلى أن بلغت ذروتها على يد الرسول الأعظم محمد (صلى ا عليه وآله) وقد استقرت المشيئة الإلهية على ختم الرسالة على يده الكريمة، فكانت الرسالة الإسلاميّة رسالة أبديةً خاتمة بالإضافة إلى كونها أكمل الرسالات السماوية وأتمها وأسماها.

وهي بحكم كونها أكمل الرسالات وأتمها لابد لها أن تشتمل على جميع ما يقتضيه النظام الاجتماعي الصالح للبشرية بما فيه من عناصر ثابتة وعناصر متطورة، ولكنها بحكم كونها رسالة أبدية خاتمة لابد لها أن لا تباشر بتشريع العناصر المتغيره بصورة تفصيلية، لأنها لو صنعت ذلك لأصبح حالها حال الرسالات السماوية السابقة التي كانت تستدعي التغيير والتجديد بين حين وآخر من تاريخ البشرية، وهذا ينافي أبديتها وخاتميتها.

فلكي تكون الرسالة الإسلاميّة رسالة كالمة شاملة من ناحية، وتكون صالحة للدوام والاستمرار في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة من ناحية أخرى كان من الضروري أن يفرز الإسلام ويفرق بين مساحة العناصر الثابتة التي لا تتغير بتغير الظروف والأحوال وبين العناصر المتطورة التي تتغير بحسب مقتضيات الظروف والأحوال، فيباشر في

---

1 ـ لا حظ بهذا الصدد محاضرة قيمة لأستاذنا الشهيد الصدر قدس سره تحت عنوان: التغيير والتجديد في النبوة وقد طبعت مع مجموعة أخرى من محاضراته تحت عنوان: اله البيت تنوع أدوار ووحدة هدف دار التعارف بيروت.